الأسلوبية وعلاقتها بعلم اللغة من المنظورين الوصفي والتاريخي

د. إدريـــــــس عبـاســـوف
مدير قسم اللغات الشرقية
وآدابها بجامعة نخشوان الحكومية، آذربيجان

العدد الخامس والثلاثون
أكتوبر ٢٠١٠م

بداية لابد من التمييز بين الدراسة الوصفية للغة (دراسة النظام اللغوي في وضع بعينه، دون الاشارة إلى الزمن)، والدراسة التاريخية (دراسة تطورها عبر الزمن). لقد واف البعض "سوسير" في تمييزه الصارم بين هذين المنظورين، وفي منحه الدراسة الوصفية للغة الأولوية، فقد كان يتجاهل، أو – على الأقل– يطرح جانبا، حقيقة أن اللغة في أساسها تاريخية وعارضة؛ أي أنها كينونة في تطور متصل. ولكن على النقيض من هذا كان إدراكه أعمق من إدراك نقاده للتاريخية الجذرية للغة ، وهو على وجه التحديد السبب في أنه أكد أهمية التمييز بين الحقائق المتعلقة بالنظام اللغوي والحقائق المتعلقة بالتطور اللغوي، حتى في تلك الحالات التي يبدو فيها هذان النوعان من الحقائق متداخلين (١).

ذكر د. محمود فهمي حجازي في نشأة المنهج الوصفي قائلا: "لم تكن الدراسة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين للغة دراسة وصفية وإنما كانت مقارنة (Comparative Study) وكان علم اللغة يطلق عليه آنذاك علم اللغة المقارن (Comparative Linguistics) حيث كانت تدرس اللغات من الفصيلة الواحدة دراسةً مقارنةً في مختلف ظواهرها الصوتية والصرفية، فهناك أسرةُ اللغاتِ الهندية الأوروبية التى تضم عددا كبيرا من لغات المنطقة الممتدة من الهند إلى أوربا، وعرف العلماء أن العربية تنتمي إلى أسرة اللغات السامية التى تضمّ العبريةَ والآرامية والأكادية والحبشية.

ودُرِسَت اللغاتُ دارسةً مقارنةً. كانت هذه هي البداية في دراسة علم اللغة خلال القرن التاسع عشر وأوائلَ القرن العشرين حيث كان الهدفُ هو التعريف على العلاقات التى تَرْبِطُ كلَّ لغةٍ من لغات الأسرة اللغوية الواحدة بغيرها" (٢).

إن مصطلح "علم اللغة الوصفي" "Linguistique Synchronique" هو المصطلح الفرنسي الذي يرجع أساسا إلى المصطلح اليوناني "Syn" وتعني "معاً" + "Chronos" وتعني "زمن" زتستعمل الكلمتان معا في المصطلحات الأوربية بمعنى "متزامن" أي في نفس الوقت.

كما أننا نعرف أن دي سوسير هو أول من أطلق مصطلح "diachronique" على البحث اللغوي التاريخي أي الذي لا يبحث في فترة زمنية واحدة كالوصفي، وإنما في فترات تاريخية متعاقبة، ولذلك يقف "الوصفي" في مقابل "التاريخي" حيث يرجع الوصف إلى البحث في فترة زمنية واحدة ويرجع التاريخي إلى البحث في فترات زمنية مختلفة سواء أكانت متتابعةً أم متباعدة.

وترجع أيضا كلمة "diachronique" التي استعملها دي سوسير إلى المصطلح اليوناني "Dia" وتعني "عبر" + "Chronos " وتعني "زمن" وهما تفيدان عبر الزمن أو "في مختلف الزمن". هذا من حيث استعمال هذين المصطلحين ومعناهما وأول من استعملها. وبذلك يكون العلم السوسيري أول من بحث في الدراسة اللغوية الوصفية وأول من استعمل هذين المصطلحين"وصفي" Synchronique وتاريخي Diachronique.

وتقول دكتورة عليه عزت عياد أن النظام الوصفي للغة يشمل بحث كل مجالات لغة ما وتقنيتها مثل الصرف والنحو والبلاغة والصوتيات وغيرها وذلك في عصر معين. وهو يقابل النظام التاريخي للغة والذي يبحث في تطورها عبر العصور المختلفة والمظاهر اللغوية لهذا التطور(٣).

أما النظام التاريخي للغة (Diachronie f, diachrony) فهو النظام الذي يُعنى ببحث تطور لغة ما عبر العصور المختلفة ودراسة مظاهر هذا التطور اللغوي من حيث المفردات والنحو والصرف والبلاغة، كما أنه يبحث تأثر لغة ما بلغات أخرى وأيضا مدى تأثيرهذه اللغة في اللغات الأخرى والعكس. وهو يقابل النظام الوصفي أي (Synchronie) (٤).

إن الحقيقة الماثلة في أن العلامة اعطباطية، أو أنهاعرضية برمتها، تجعلها خاضعة للتريخ، ولكنها تعني كذلك أن العلامات تتطلب التحليل بمعزل عن التاريخ. وليس هذا متناقدا كما قد يلوح؛ فلما لم يكن للعلامة جوهر لازم يتحتم استمراره، وجب تعريفها بأنها كينونة تعالقية، في علاقاتها بالعلامات الأخرى. والعلاقات المناسبة هي تلك العلاقات التي تتاح في زمن بعينه. ويقول سوسير إن اللغة "منظومة من القيم الصرف، التي لا يحددها شئ

سوى علاقاتها التي يتكرر تعديلها من وقت إلى آخر". ولأن اللغة برمتها كينونة تاريخية معرضة دائما للتغيير، فقد وجب على المرء أن يركز على العلاقات التي تتمثل في حالة تزامنية بعينها، إذا كان عليه أن يحدد عناصرها. وإذ يؤكد سوسير أولوية الوصف التزامني فإنه يبرز عدم ملاءمة الحقائق التاريخية أو التعاقبية لتحليل اللسان. وسيتضح من خلال بعض الأمثلة السبب في عدم الملاءمة المعلومة التاريخية (جوناثان كلر، ص ٩٢)

مفهوم الأسلوبية. يعترف كثير من الدارسين أن كلمة أسلوبية لا يمكن أن تعرف بشكل مرضٍ، وقد يكون هذا راجع إلى مدى رحابة الميادين التي صارت هذه الكلمة تطلق عليها ، إلا أنه يمكن القول إنها تعني بشكل من الأشكال التحليل اللغوي لبنية النص، ومن ثم يمكن تعريف الأسلوبية بأنها: "فرع من اللسانيات الحديثة مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية أو للاختيارات اللغوية التي يقوّم بها المحدثون والكتاب في السياقات – البيئات – الأدبية وغير الأدبية"(٥) . أما لفظة الأصلوب "Style" فهي مشتقة من الأصل اللاتيني للكلمة الأجنبية الذي يعني القلم، وفي كتب البلاغة اليونانية القديمة كان الأسلوب يعد أحدى وسائل إقناع الجماهير ، فكان يندرج تحت علم الخطابة وخاصة الجزء الخاص باختيار الكلمات المناسبة لمقتضى الحال. وتكلم عنه أرسطو في الكتاب الثالث من بحثه في الخطابة، ثم تحدث عنه كونتليانوس Quintilianus في الكتاب الثامن من بحثه في نظم الخطابة. وقد ورث علماء اللغة الأوربيون في العصور الوسطى بعض مفاهيمها في تقسيماتهم للأساليب الممكنة في الكتابة، وقرروا انقسام الأسلوب ثلاثة أقسام: البسيط أو الوطيء، والوسيط، والسامي أو الوقور، وعدوا أعمال الشاعر فرجيل نماذج للأقسام الثلاثة: فالرّعائيات نموذج للوسيط، والإنياذة نموذج للسامي أو الوقور. ثم صار يعني : "أية طريقة خاصة لاستعمال اللغة بحيث تكون هذه الطريقة صفة مميزة للكاتب، أو مدرسة، أو فترة زمنية، أو جنس أدبي ما"(٦) .

لقد خضع مصطلح علم الأسلوب Stylistics لفكرة الثبات والتحول، فكلمة Stylistics ثابتة في التاريخ اللغوي الغربي، وتطورت دلاليا حتى

صارت في بداية هذا القرن مصطلحا يدل على مفهوم ما، والملاحظ أنّ هذا المفهوم الجديد لم يثن هذه الكلمة عن التطور، ويمكن الجزم أنّ مفهومها متحول نشط، ففي بداية القرن كان يدل على الأسلوب، وفي ما بعد صار يدل على الأسلوبية التي هي واقعاأسلوبيات كثيرة قد تصل إلى حد التنافر، وقد يفسر هذا الوضع كثرة الحدود والتعريفات والمفاهيم التي وقع عليها هذا المصطلح، فكل منظر حدّه وفق التحولات التي طرأت في زمنه أو بحثه هو شخصيا، فجاءت اللفظة Stylistics مصطلحا لمفاهيم ربت بعد جمعها وتنقيحها على الثمانين مفهوما. وكل هذه المفاهيم تندرج في قائمتين:

الأول: قائمة علم الأسلوب، الثانية: قائمة الأسلوبية، وقد تكون أغلب الالمفاهيم المتباعدة واقعة في الأسلوبية، لا في علم الأسلوب؛ لأنّ علم الأسلوب أكثر ضبطا من الأسلوبية لموضوعيته، ولذا سنجد كل منظر للأسلوبية قد حدها بمفهوم متفق مع مستويات التحليل التي يتعامل بها من جهة، ومناهج النقد الأدبي التي ارتكز عليها من جهة أخرى. فالذي ارتكز على المنهج النفسي مثلا سيكون مفهومه مختلفا عن الذي ارتكز على المنهج الاجتماعي ضرورة وهكذا... وللخلوص من هذه الإشكالية حاول بعض الغربيين تقييد الأسلوبية بصفة كالذاتية، المثالية، التأصيلية... ولكنهم لم ينجحوا، ودليل ذلك أننا ما زلنا نخلط بين هذه المفاهيم، على الرغم من هذا التقييد؛ ولذا والرؤية مستقبلية يمكن التخلص من هذه التداخلات في المفاهيم بأن نحاول إيجاد مصطلحات جديدة غيرStylistics لتدل على مفاهيم الأسلوبية المتنوعة المتغايرة، فنخلص مصطلح Stylistics لعلم الأسلوب فقط، والخلاصة أنه يستحيل النظر إلى الاسلوبية على أنها علم واحد، يمكن حده حدا واحدا يرضي جميع الاطراف التي تعمل تحت هذا المصطلح [٧].

وثمة رؤية أخرى ترى أن في الاسلوب مفارقة Departure أو انحرافا \ انزياحا عن نموذج آخر من القول، ينظر إليه على أنه نمط معياري Norm ، ومسوغ المقارنة بين النص المفارق والنص النمط هو تمثل السياق في كل منهما. وإذا كنا نتحدث عن الاسلوب والاسلوبية فمن الجدير

بالذكر أن نفرق بين عالم الاسلوب والاسلوبي، ومن الحلل النص تحليلا لغويا ليلحظ جمالياته، ليس أسلوبيا؛ وإنما هو عالم الاسلوب، وهنا يتضح جليا أن مصطلح أسلوبية يختلف عن مصطلح علم الاسلوب؛ لأن علم الاسلوب يقف عند تحليل النص بناء على مستويات التحليل وصولا إلى علم بأساليبه، بينما الاسلوبية هي التي تتجاوز النص المحلل المعلومة أساليبه إلى نقد تلك الاساليب بناء على منهج من مناهج النقد ويمكن أن يقال أسلوبية وعلم الاسلوبية، كما يقال نقد و علم النقد، ولا تكون الأسلوبية رديفا لعلم الاسلوب في حال من الاحوال، كما ظن بعضهم أن الحاصل اختلاف من أثر الترجمة بين المشارقة والمغاربة (عدوس، ص ٣٧-٣٨).

أما مصطلح علم اللغة فهو علم يبحث في اللغة جميع جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية واللفظية والدلالية والنفسية والاجتماعية والمعجمية والتطبيقية. وقد أطلق اللغويون عليه أسماء عديدة مثل فقه اللغة وعلم اللسان واللسانيات والألسنيات. وينقسم علم اللغة إلى علم اللغة النظري وعلم اللغة التطبيقي. ومن فروع علم اللغة النظري علم الأصوات وعلم الفونيمات وعلم اللغة التاريخي وعلم الدلالة وعلم القواعد الذي يشتمل على الصرف وعلم النحو. أما علم اللغة التطبيقي فمن فروعه صناعة المعاجم وعلم اللغة الآلي وعلم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي وتعليم اللغات والتقابل اللغوي وتحليل الأخطاء.

ويهتم علم اللغة بدراسة اللغة بوصفها نظاما للاتصال بين البشر. وبالرغم من أن دراسات الظواهر اللغوية قد تم إجراؤها على مدى قرون، فقد بدأ مؤخرا نسبيا قبول علم اللغة بوصفه علما قائما بذاته. ويشمل علم اللغة الآن مجالا واسعا ذا مداخل مختلفة، ومجالات بحث مختلفة، مثل النظم الصوتية (علم الأصوات Phonetics، وعلم الفونيمات أو الفونولوجيا Phonology)، نظم الجملة (Syntax)، وأنظمة المعنى (علم الدلالة Semantics)، البراجماتية (Pragmatics)، ووظائف اللغة (Functions of Language) [٨].

يشكل ما تراكم حتى الآن من التأليف في اللغة وحولهاالقديم والحديث في مختلف اللغات الأكثر انتشارا في عالمنا العربي عقبة لا تقل حدتها عن صعاب الفقر المعرفي في نفس الميدان. إذ كلاهما يشكل عائقا يحد من وتيرة نمو العلم في الاتجاه السليم، ويعرقل بناء معرفة تمثل حقا موضوع الدراسة [٩].

يشير د. أحمد شفيق إلى أنّه في السنوات الأخيرة نشأت فروع جديدة لعلم اللغة، بارتباطها بعلوم أخرى، مثل علم اللغة الأنثروبولوجي، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي. وقد يستخدم مصطلح علم اللغةبمعانٍ ثلاثة هي:

١- بصفة عامة، دراسة العادات الكلامية للأنسان؛ أي التحليل الوصفي للتراكيب أو النظم في اللغة، ويشمل هذا علم الفونيمات، وعلم المورفيمات وعلم الفونيمات الصرفي، والنحو.
٢- دراسة كلام الإنسان في جوانبه المتعددة (الوحدات، والطبيعة، والبنية، والتغيرات اللغة، ولغات مختلفة أو لغة واحدة). وتتضمن هذه دراسة علم الأصوات، وعلم الفونيمات، وعلم الصوت، والتنبير، والنحو، وعلم الدلالة، وعلم القواعد العامة أو الفلسفة، والعلاقة بين الكلام والكتابة.
٣- الدراسة المنظمة للغة، أو لواحدة أو أكثر من اللغات واللهجات. ويحاول علم اللغة وصف اللغات واللهجات (علم اللغة الوصفي)، وليس فرض أو إملاء الاستخدام الصحيح؛ وهو يحلل بنية لغة ما (علم اللغة البنيوي \التركيبي). ويتناول علم اللغة التاريخي أو الزمني التغيرات الزمنية التي حدثت في اللغات، أما علم اللغة الوصفي قد يكون تزامنيا أي يتناول العلاقات في فترة زمنية معينة بين اللغات المختلفة ذات الأصل المشترك؛ كما قد يكون تاريخيا، يقارن الأشكال المختلفة لإحدى اللغات في فترات زمنية مختلفة. ويشير علم اللغة التطبيقي إلى استخدام معلمي اللغة لما يتوصل إليه علماء اللغة. ويختص علم اللغة التقابلي (أو التحليل التقابلي) بمقارنة اللغة الأصلية

للمتعلم باللغة المستهدف تعلمها، بهدف إعطاء اهتمام خاص لمجالات التقابل (الاختلاف) القصوي (أحمد شفيق، ص٣٨-٣٩).

الاسلوبية وصلتها بعلم اللغة في المنظورين الوصفي والتاريخي. يستقصي يوسف أبو العدوس الصلة بين الاسلوبية وعلم اللغة مستندا إلى المصادر الغربية والعربية. يقول المؤلف أن علاقة الاسلوبية بعلم اللغة هي علاقة منشأ ومنبب، ووفق ما يرى بعض الباحثين تتحدد الاسلوبية بكونها أحد فروع علم اللغة، إلا أن اعتمادها على وجهة نظر خاصة تميزها عن سائر فروع الدراسات اللغوية، فالأقرب إلى المنطق اعتبارها علما مساوقا لعلم اللغة، لا يعني بعناصر اللغة من حيث هي، بل بإمكانياتها التعبيرية، وعلى هذا الاساس تكون لعلم الاسلوب الأقسم نفسها التي لعلم اللغة. ويعتبر برند شبلنر أن الأسلوبية فرع من علم اللغة النظري، حيث تحتل مكانها بجانب النظرية النحوية، فالذي يناظر النظرية الأسلوبية في داخل علم اللغة التطبيقي ، إنما هو البحث الأسلوبي، ويستنبط هذا المجال العلمي من أجناس النظرية الأسلوبية مناهج بحث النصوص، كما ينظر التعامل المشترك مع الفروع الاخرى، فعند بحث أسلوب النصوص الأدبية ، نجد أن دراسة الأسلوب لغويا تكتمل من خلال أجناس في مجال فرعي مناسب للدراسة الأدبية كعلمي الاجتماع والتاريخ (عدوس، ص ٤٠).

أدى الارتباط التاريخي بين الاسلوبية و علم اللغة ببعض مؤرخي النقد إلى أن يقعوا في الخلط، فصاروا يعدون أي تناول للأدب يظهر اهتماماواضحا بمظاهر لغوية (الخيال، البنية الصوتية، النحو...) من الدراسة الاسلوبية. لكن الامور تبقى على مثل هذا الخلط، فسرعان ما انبرى الدارسون للتفرقة بين مجالي العلمين وتوجيهاتهما. إن علم اللغة هو الذي يدرس ما يقال، في حين أن الاسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يقال، مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد وإنما اللغة تقتصر على تأمين المادة التي يعمد إليها المتكلم أو الكاتب ليفصح بها عن فكرته، أما علم الاسلوب فهو يرشدنا إلى اختيار ما يجب أخذه من هذه المادة للتوصل إلى نوع معين

من التأثير في السامع أو القارئ، شريطة احترام ما اتفق عليه العلماء من مدلولات لفظية، وقواعد صرفية ونحوية وبيانية [١٠].

بدأ تاريخ علم اللغة الحديث بدي سوسير، وموضوعه كما لخصه في كتابه يقول: "إن موضوع علم اللسان الحقّ والوحيد، إنما هو اللسان معتبرا في ذاته ولذاته". شرح الأستاذ الدكتور يوسف أبو القدوس مستندا إلى دي سوسير عددا من القضايا التي كان لها أثر كبير على مدارس اللسانيات. ومن هذه القضايا:

أولا: اللغة نظام منسوق، وهي نظام من العلاقات يرتبط بعضها ببعض على نحو تكون فيه كلّ علاقة مشروطة على جهة التبادل بقيم العلامات الأخرى... .

ثانيا: العلامة اللغوية ذات طبيعة مركبة، وهي مكونة من اتحاد الدال **significant** (الشكل الصوتي الذي يشار به إلى المعنى)، والمدلول **signifie** (المعنى أو المفهوم نفسه).

ثالثا: إنّ البعدين الأساسيين للدراسة اللغوية هما:

١- البعد الأول هو الدراسة التزامنية أو الآنيّة **synchronic**، التي تعالج فيها اللغات بوصفها أنظمة اتصال تامة في ذاتها، في لحظة معينة من الزمان، وتتجلى اللغة في هذه الحالة في هيئة نظام منسوق يعيش في الوعي اللغوي لمجتمع ما.

٢- البعد الثاني هو الدراسة التعاقبية أو التاريخية **diachronic**، التي تعالج فيها تاريخيا عوامل التغيير التي تخضع لها اللغات في مسيرة الزمن، فهي تعني بالظواهر اللغوية غير المختزنة في الوعي اللساني لهؤلاء المتكلمين أنفسهم.

رابعا: تقوم الإشارة اللغوية بدورها في التواصل، لأنها توجد في إطار مجموعة من الأشارات يرتبط بعضها ببعض آخر بواسطة علامات محددة تتوزع على محورين أساسيين هما:

أ- المحور النظمي (الخطي الأفقي) syntagmatic، الذي تنتظم عليه الوحدات اللغوية لتؤلف سلسلة معينة من الكلام (في مقاطع وكلمات وجمل).

ب-المحور الاستبدالي (الرأسي) paradigmatic، الذي تنتظم عليه العلاقات بين كلّ إشارة من الإشارات الموجودة في المرحلة الكلامية، والإشارات الأخرى التي تنتمي إلى اللغة نفسها، وهي علاقات تربط في ذهن المتكلم والسامع بين الإشارات التي تنتمي إلى نمط واحد، وتقوم بوظيفة لغوية مشتركة، ومن ثم يمكن أن يحلّ بعضها محل بعضها الآخر في سياق السلسلة الكلامية نفسه، دون أن يطرأ خلل على النظام النحوي.

خامسا: اللغة Language هي ملكة التخاطب التي يملها كل البشر طبقا لقوانين الوراثة، وهي ظاهرة إنسانية عامة، وهي توجد وجودا كاملا في عقل الجماعة فقط. أما الكلام Parole فهو ما نسمعه في الحياة اللسانية من عبارات ينظمها الأفراد، لها وجود مادي. أما اللسان Langue فهو نظام اجتماعي عند جماعة لغوية محددة، وهو ما يدور على لسان أصحاب كلّ لغة، ويستخدم في التفاهم بينهم (عدوس، ص٤١-٤٢).

إن بالي هو مؤسس الأسلوبية الوصفية التي قامت على المبادئ السوسيرية مع الإشارة إلى أنّ بالي لم يهتم بالواقعية الأسلوبية إلا حال كونها منظورا إليها في حد ذاتها. ويبدو لنا أنّ أسلوبية بالي قد تعرضت للنقد الشديد بسبب استئصاله للغة الأدبية من ميدان الأسلوبية، فقد ساهمت المدرسة الفرنسية مثلا في إخماد جذوة المباحث التي قدمها بالي. ونخلص من هذا إلى أن بالي اهتم بالمحتوى العاطفي للغة، وهذا جعله لا يهتم بالجوانب الجمالية، ومن ثم ركز على اللغة المنطوقة وهو ما صرفه عن العناية باللغة الأدبية، وتصنيفه للإمكانات الكامنة أو المثارة في اللغة شده إلى دراسة القوة التعبيرية في اللغة الجماعية دون اهتمام بالتطبيقات الفردية لها، وعليه فدراسته الأسلوبية دراسة لغوية لا دراسة أدبية (١١).

قسم تشومسكي اللغة إلى قسمين رئيسين ، الأول: البنية السطحية Surface Structure، يمثلها الكلام المنطوق، والقسم الآخر البنية العميقة Deep Structure، وهي الجذور التي تمدّ البنية السطحية بمقوماتها وتحويلاتها[١٢]. وقد استفادت الأسلوبية من هذين المفهومين، فالأسلوب هو البنية السطحية (انزياح)، وهو انزياح عن البنية العميقة للأسلوب. وأكد المؤلف تشومسكي أنّ ثمة جانبين ينبغي أخذهما باعتبارهما: الأداء اللغوي Performance، وتمثله البنية السطحية، والكفاية اللغوية Competence، وتمثله البنية العميقة، ووفق النحو التحويلي فإن كلّ مبدع يصل إلى مرحلة النضج يستطيع أن يفهم وينتج تركيبات لا تنتهي، فاللغة بوسعها أن تستعين بعدد محدود من المسائل لتنتج عددا لا يتناهى من الاستعمالات هي التي تركز عليها الأسلوبية في مظهرها الحسي، باعتبار أنّ الكلام الأدبي مجموعة من الجمل لها وحدتها المميزة، ولها قواعدها ونحوها ودلالتها، والأسلوبيون يتعاملون مع الجملة كتعاملهم مع النص بأكمله؛ لأنها قابلة للوصف على مستوياتها المتعددة، الصوتية والتركيبية والدلالية (عدوس، ص٤٦).

إنّ فكرة الاختيار النحوي في الأسلوبية إنما هي منطلقة من فكرة النحو التوليدي، فأحد تعريفات الأسلوب أنه اختيار نحوي، والمراد بالنحو هنا ما هو أعمّ من القواعد المعروفة، بحيث يشمل قواعد اللغة بعامة في أصواتها وصرفها ومعجمها ونظم الجملة فيها، ويكون هذا الانتقاء حين يؤثر المنشئ كلمة على كلمة، أو تركيبا على تركيب؛ لأنها أدق في توصيل ما يريد [١٣]. لقد ميز تشومسكي بين صنفين من الجمل، الجمل المقبولة، والجمل غير المقبولة، هذا من وجهة براغماتية، أما من الوجهة النحوية فقد ميز بين الجملة القواعدية، والجملة اللاقواعدية، ويرتبط هذان المفهومان، القابلية والقواعدية، بمفهوم الغموض التركيبي والدلالي، في الوقت نفسه فإنه محيل إلى موضوع التعقيد في الجمل الذي يمثل حقلا مشتركا بين علم اللغة التوليدي والأسلوبية التي يعد فيها هذا المصطلح (التعقيد) أحد المفردات التقليدية، من جهة أخرى يمكننا مباشرة أن نربط المصطلحين: القابلية

والقواعدية بالمصطلحات الأسلوبية التقليدية في معالجة الأسلوب – موضوع الدرس – ويمكن أن تكون بعض الأمثلة الدالة على الجمل غير المقبولة، أمثلة توضيحية في كتاب تمهيدي في الأسلوب حول كيفية تجنب تركيب هذا النوع من الجمل(١٤). إنّ الأسلوبية اليوم هي من أكثر أفنان اللسانيات صرامة على ما يعتري غائيات هذا العلم الوليد ومناهجه ومصطلحاته من تردد ولنا أن نتنبأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي واللسانيات معا.

لكلّ من اللساني والأسلوبي حد وهدف لا يجاوزه، فاللساني يطمح إلى وصف اللغة وصفا دقيقا بالدرجة الأولى، ثم عقلنة هذا الوصف، والخروج بقواعد تفسر هذا النوع من النشاط الإنساني واهتمامه باللغة الأدبية لا يتعدى اهتمامه باللغة بشكل عام، وهو بهذا لا تعنيه التعبيرات الأدبية. أما الدارس الأسلوبي فغايته مختلفة تماما، إنها تبدأ من حيث ينتهي اللساني، فهدفه تحديد لغة الخطاب العادي، لإظهار اللغة الأدبية، فهو ينكب على النص ليجلي مكوناته وصوره ويضعه في مكانته التي يستحقها من حيث هو تعبير عن النفس الإنسانية، والنص في يد الدارس الأسلوبي مرآة يعمل على تحديد مدى نصاعتها، وتصويرها للنفس البشرية بكل منازعها(١٥). والنظام الأسلوبي يوصف بأنه غير معياري، بل هو محاولة للإفلات من صرامة القاعدة وحدة القوانين اللغوية، والنظام الأسلوبي يقوم على حقيقة جوهرية مهمة وهي: الإنزياح، ومن هذه الحقيقة يستمد دراسته. هذا الانزياح الذي لا يعني عالم اللغة كثيرا. ومن الجدير بالذكر أن هذا الانزياح أوسع مما كان يطلق عليه قديما: الشذوذ النحوي، إنه الإدراك للنظام الجديد للغة النص، والتفرد الذي يحدد مسار النص بعيدا عن الأعراف اللغوية أو الافتراضية التي يتكلم بها شخص أو مجموعة أشخاصكلاما عاديا، وهو نسبي أيضا وقابل لأن يتحول انزياحا ميتا. وقد يعمد الدارس الأسلوبي إلى استخدام مناهج بعيدة في ظاهرها عن الأدب والإبداع، بل هي أقرب إلى العلوم البحتة، كالمنهج الإحصائي، ولكن هذا لا يعيب الأسلوبي، لأن الإحصاء ليس عملا رئيسا منفردا، كما أنه ليس غاية في حد ذاته، بل هو نتائج تساعد هذا

الدارس على تجلية النص وكشف جمالياته، وإعطاء صاحبه المكانة التي يستحقها، وفي سبيل هذا يمكن أن يستخدم أي منهج من أي علم يسهم في تحقيق هذه الغاية، ولا يضيره ذلك ما دام محافظا على استقلاله وميمما صوب النص بالدرجة الأولى (عدوس،٤٩).

وعلى هذا لا يستطيع المرء أن يدعي أن علم اللغة التاريخي أقرب على نحو ما إلى حقيقة اللغة، في حين يكون التحليل التزامني عملا خياليا؛ فالقرابات التاريخية مشتقة من التماثلات التزامنية؛ هذا فضلا عن أنها حقائق تنتمي إلى نظام مختلف. ومن الناحية التزامنية، تعد التماثلات التاريخية تشويها؛ لأن العلامات الأقدم والأحدث، التي ترتبط بها هذه التماثلات، لا تجمع بينها خصائص مشتركة. وليس لأي علامة من الخصائص سوى الخصائص التعالقية الخاصة التي تحددها في أطار نظامها التزامني الخاص. ومن منظور نظم العلامات الذي هو آخر الأمر المنظور الذي يحظى بالاهتمام عند تناول العلامات، تتباين العلامات الأقدم والعلامات الأحدث تباينا كليا. ومن هنا كانت أهمية الفصل بين المنظورات التزامنية (الوصفية) والمنظورات التاريخية، حتى عندما تتداخل الحقائق التي تعالجها هذه المنظورات، تداخلا لا فكاكا منه. وهذه مسألة ينبغي للمرء أن يؤكدها؛ لأن علماء اللغة الذين يعارضون تمييز سوسير الجذري بين أساليب التناول التزامنية وأساليب التناول التاريخية، ويرغبون في تصور منظور تاريخي عام ومركب، غالبا ما يشيرون إلى تشابك الحقائق التزامنية والتاريخية كما لو كان هذا التشابك يدعم قضيتهم. وقد كان سوسير على وعي تام بالتداخل بين الحقائق التزامنية والحقائق التاريخية؛ فالواقع أن المشكلة برمتها عنده كانت هي مشكلة الفصل بين هذه العناصر عندما تختلط، لأن التحليل اللغوي لا يمكن أن يظفر بتماسكه إلا بهذه الطريقة. إن في الصيغ اللغوية جوانب تزامنية وجوانب تاريخية ينبغي الفصل بينها، لأنها حقائق تختلف في نظامها كما تختلف في شروط وجودها (جوناثان،٩٧).

وحجة سوسير هنا حجة مركبة. والدعوى تقول إن الحقائق التاريخية لها نظام يختلف عن نظام الحقائق التزامنية من حيث إن التغير التاريخي

ينشأ خارج النظام اللغوي. والتغير إنما ينشأ في الأداء اللغوي، أي في الكلام، ليس في اللسان؛ والشئ الذي يعتريه التعديل هو العناصر المفردة في النظام الذي تتحقق فيه. ثم إن التغيرات التاريخية تؤثر في النظام آخر الأمر، حيث يتكيف النظام معها، ويفيد من نتائج التغير التاريخي، ولكن ليس النظام اللغوي هو ما يحدث هذه التغيرات. والشئ الذي يعارضه سوسير هنا هو فكرة الغائية في علم اللغة، وهي الفكرة التي تقول إن هناك غاية ما تعمل التغيرات اللغوية في الاتجاه نحوها، كما أنها تحدث من أجل تحقيق هذه الغاية. ولا تحدث التغيرات من أجل أن تنتج وضعا جديدا للنظام. ؛ وما يحدث هو أن "عناصر بعينها تتغير، بعض النظر عن تماسكها داخل النظام في مجمله" (الفصل الثالث، ص٨٠-٨١). وهذه التغيرات المنفصلة لها نتائج عامة بالنسبة إلى النظام، حيث تتغير شبكة علاقاته. ومع ذلك "فليس الأمر أن نظاما ما قد أنتج نظاما آخر، بل أن عنصرا ما من النظام الأول قد تغير، وأنّ هذا كان كافيا لأن يخرج إلى الوجود نظاما آخر" (الدروس، ٨٥). إن التغيرات جزء من عملية تطورية مستقلة، يتكيف النظام معها (جوناتان، ٩٨-٩٩).

ABSTRACT

The relations between Linguistics and Stylistics

At the synchronic and diachronic perspectives

Dr. Idris Abbasov

There is a close relation between Linguistics and Stylistics. The article analyses the relations between Stylistics and Linguistics at the synchronic and diachronic perspectives. The author aims to represent that the traditional stylistic analysis, however, tends to make use of linguistic theories of frameworks in order to explain or predict interpretation. What is new about cognitive stylistics is the way in which linguistic analysis is systematically based on theories that relate linguistic choices to cognitive structures and processes. This provides more systematic and explicit accounts of the relationship between texts on the one hand and responses and interpretations on the other. Stylistics is often bound to linguistics and always to semiotics. Thus, in a study of style, all three concepts must be viewed together. Style, then, is a link between context and linguistic form.

المصادر والمراجع

١- جوناثان كلر، فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلاقات) ترجمه دكتور عز الدين إسماعيل، القاهرة، مكتبة الاكاديمية، ٢٠٠٠، ص ٩٠ -٩١

٢- حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية (مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية). الكويت، وكالة الناشر للمطبوعات، ١٩٧٣، ص ٣٢-٣٣

3- Dr. Aleya Ezzat Ayad, Worterbuch linguisticher und Literaturwissenschaftlicher Termini Deutsch-Englisch- Arabisch, Academic Bookshop, Kairo 1994, p.33

٣- دكتورة عليه عزت، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية ألماني –إنجليزي –عربي، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٤٤

5 - Baldick, Chris, The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms, Oxford Univ. Press, New York, 1990, p.215

6- Hawthorn Jeremy, A Concise Glossary of Contemporary Literary Theory , Arnold , London , 1998, pp. 233-234

٧-الاستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس، ألأسلوبية، عمان، ٢٠٠٧، ٣٣٥ ص، ص ٣٦

٨- الدكتور أحمد شفيق الخطيب، قراءات في علم اللغة، دار النشر للجماعة-مصر، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٣٨

٩- د.محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية، ١- أفول اللسانيات الكلية، ط ١، الرباط، ٢٠٠١، ص٣١

١٠- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م، ص٢٠-٢١

١١- بول فابر- كريستيان بايلون، مدخل إلى الألسنية مع تمارين تطبيقية، ترجمة: طلال وهبه، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢، بيروت، ص ٢٢٩
١٢- تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، ترجمة: مرتضى باقر، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٥م، ص ٢٨
١٣- [1]محمد عزام، التحليل الالسني للأدب، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٤م، ص ١٠٢
١٤- ج. ب. ثورن، القواعد التوليدية والتحليل الأسلوبي، مقال في كتاب: سعيد الغانمي، اللغة والخطاب الأدبي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٧٨
١٥- عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي، مجلة فصول، مج١ ع ٢، ١٩٨١.